قضايا تعليم اللغة العربية عند الدكتور نعمة رحيم العزاوي ورؤيته لتجاوز الضعف فيها

الباحث الاول: أ.م. د. ضرغام سامي عبد الأمير / كلية التربية / جامعة القادسية

الباحث الثاني : م. صادق عباس هادي الطريحي / كلية التربية / جامعة القادسية

Email 1: drgam.Abdalamer@qu.edu.iq

Email 2: sadiq.hadi@qu.edu.iq

تاريخ الاستلام : ٢٠٢١/٤/٢٢

قبول النشر: ٢٠٢١/٥/٢٤

الملخص

يعد الدكتور نعمة رحيم العزاوي واحدًا من العلماء المعاصرين في اللغة العربية، وقد ترك كتبًا وأبحاثًا جمة في التيسير، والنقد اللغوي، وتعليم اللغة العربية، ولعل كتابه (من قضايا تعليم اللغة العربية ـ رؤية جديدة) يمثل جهدًا متميزًا في تعليم اللغة العربية، وتنبع أهمية الكتاب من توظيف الدكتور العزاوي لخبرته التعليمية الواسعة في تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة، ناهيك عن عمله في مديرية المناهج التربوية، ومشاركته في تأليف الكتب المنهجية. وقد عرض في كتابه هذا عدة قضايا تعليمية، منها، قضية اكتساب اللغة، وتعليم اللغة بالطريقتين التلقائية والقاصدة، ثم عرض لقضية التعليم الوظيفي للغة، ومهاراتها، وميز في تعليم التعبير بين مفهومي الإنشاء والتعبير، وأخير عرض لمشكلة النحو.

ويرمي هذا البحث إلى ملاحظة هذه القضايا، ومن درسها من الآخرين، ودراسة آراء الدكتور العزاوي حولها، من أجل التوصل إلى رؤية واضحة لواقع تعليم اللغة العربية، وتقديم المقترحات لتطوير تعليمها.

قسم البحث إلى تمهيد لعرض السيرة العلمية للدكتور العزاوي، ثم ثلاثة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول قضية الاكتساب اللغوي، وعرض المبحث الثاني لقضية النحو الوظيفي، ومشكلة تعليم النحو عند الطلبة، أما المبحث الثالث فعرض لقضية التعبير، وطرائق تعليمه، وأخيرًا خاتمة بالنتائج التي توصل لها البحث.

الكلمات المفتاحية: قضايا تعليم اللغة العربية، نعمة رحيم العزاوي، اكتساب اللغة

The Issues of Teaching the Arabic language According to Dr. Ni'ma Rahim Al-Azzawi and his Vision to Encroach its Learning Weakness

Assistant Professor Dr. DHURGHAM SAMI ABDULAMEER[1]

Lecturer. SADEQ ABBAS HADI AL-TURAIHI[2],

Email 1: drgam.Abdalamer@qu.edu.iq

Email 2: sadiq.hadi@qu.edu.iq

1&2: University of Al-Qadissiya,College of Education

Abstract

Dr. Ni'ma Rahim Al-Azzawi is considered as one of the contemporary scholars in the Arabic language, and he has left many books and researches behind like facilitation, linguistic criticism, and teaching the Arabic language. Perhaps, his book (Issues of Teaching Arabic Language - A New Vision) is represented as a distinguished effort in teaching the Arabic language, and the importance of the book is based on the employment of Dr. Al-Azzawi for his extensive educational experience in teaching Arabic in elementary and secondary schools. In addition, to his work in the Educational Curricula Directorate as well as his participation in writing textbooks. In his book, he presented several educational issues, including the issue of language acquisition, teaching the language by automatic and intentional methods, and then he presented the issue of functional teaching of the language and its skills, and distinguished in teaching expression between the concepts of composition and expression, and the last a presentation of the problem of grammar.

This research aims to observe these issues, and others who have studied them, and to study Dr. Al-Azzawi's opinions, in order to reach a clear vision of the reality of teaching the Arabic language, and to present proposals to develop its education.

The research is divided into a preface; which presents the scientific biography of Dr. Al-Azzawi; with three sections and a conclusion. The first section deals with the issue of the linguistic acquisition, and the second one presents the issue of the functional grammar and the problem of teaching grammar among students, while the third section presents the issue of expression, methods of teaching, and finally a conclusion contains the results that the research has reached to.

Key words: Issues of Teaching the Arabic Language, Ni'ma Rahim Al-Azzawi, Language Acquisition

التمهيد: السيرة العلمية للدكتور نعمة رحيم العزاوي

ولد في مدينة الحلة سنة ١٩٣٦، درس في الكتاتيب أولًا، فحفظ القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة الابتدائية ثم المتوسطة، وبعد تخرجه فيها، عين معلمًا في المدارس الابتدائية، ثم التحق بدار المعلمين العالية، وتخرج فيها سنة ١٩٥٨ بتقدير شرف، ثم عمل في التعليم الثانوي، وشغل منصب معاون مدير تربية الحلة بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٨ ، وعمل لمدة سنتين بإعارة من وزارة التربية في العراق في معهد المعلمين في المملكة العربية السعودية، ثم شغل منصب مدير المناهج والكتب في وزارة التربية في العراق، حصل على درجة الماجستير

بتقدير امتياز من كلية الآداب . جامعة بغداد، سنة ١٩٧٤، عن رسالته (أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة) ثم نال درجة الدكتوراه بتقدير امتياز من كلية الآداب . جامعة بغداد سنة ١٩٧٧ عن أطروحته (النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري) (الحداد، ٢٠٠١، ٢٤٥)

ألف الدكتور نعمة العزاوي الكثير من الكتب في اللغة والنحو والأدب والتعليم، وسنذكر منها في هذا البحث ما له صلة بعنوان البحث فقط:

- . أصول تعليم اللغة العربية والدين، بالاشتراك مع قاسم خليل، النجف الأشرف، ١٩٦٦.
- . أثر بعض العوامل في لغة التدريس، تقويم تجربة التكلم باللغة العربية الفصيحة، مشترك، بغداد، ١٩٧٨.
- . النقد اللغوي بين التحرر والجمود، بغداد، ١٩٨٤.
- . من قضايا تعليم اللغة العربية، بغداد، ١٩٨٨.
- . الإملاء قواعده ومشكلاته وتطويره وتعليمه، بغداد، ١٩٨٨.
- . التطبيق النحوي لمعلمي اللغة العربية، بغداد، ١٩٨٨.
- . في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، بغداد، ١٩٩٥.
- . شارك في تأليف أكثر من أربعة عشر كتاباً منهجيا لمراحل مدرسية مختلفة.
- . عضو الهيئة العليا للعناية باللغة العربية.
- . عضو دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي.
- . له أكثر من عشرين بحثًا علميًا، في اللغة والأدب، نشرت في مجلات محكمة، عراقية وعربية.
- له العشرات من المقالات المنشورة في جريدة الجمهورية، بغداد، حول التصحيح اللغوي وتيسير النحو وغيرها من الموضوعات. (صوينت، ٢٠١٣، المقدمة)

ويلحظ على سيرته العلمية كثرة اهتمامه بقضايا تعليم اللغة العربية نظريًا وتطبيقيًا، وهو ما يحاول هذه البحث، ملاحظته وتسجيله، من حيث الرؤية والمنهج.

المبحث الأول: قضية الاكتساب اللغوي.

تعد قضية الاكتساب اللغوي القضية الأولى في تعليم اللغات، وقد انقسم اللغويون العرب في هذه القضية على قسمين، فمنهم من يرى " أنّ اللغة توقيف من الله، كأبي الحسن الشعري (٣٢٤ هـ) وأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) وابن فارس (٣٩٥ هـ) وآخرين، بينما يرى آخرون أنّ اللغة تواضع واصطلاح بين البشر" (العبيدي، ١٩٨٨، ٦٧) ، ومن الواضح أنّ الدكتور نعمة رحيم العزاوي يميل إلى هذا الرأي ويتفق معه، كما وضحه ابن خلدون (٨٠٨ هـ) في كتابه المقدّمة، إذ تبنى الدكتور العزاويّ، رأيّ ابن خلدون، وفي ضوئه وضح

الطريقة التلقائية في تعليم اللغة، " وعدم الاعتماد في تعليمها على الطريقة القاصدة، التي تقوم على التلقين وحده. فالطريقة التلقائية هي الطريقة المثلى في تعليم اللغة " (العزاوي،١٩٨٨، ١٥) .

ويمكن لنا أن نوضح ملامح الطريقة التلقائية في تعليم اللغة من خلال ما حدده ابن خلدون في اكتساب اللغة، بعد أن رفض الرأي الذي يقول بتوريث اللغة، فقد حدَّدَ ثلاث مراحل لاكتساب اللغة، بحسب انعكاس التعلُّم على المتعلم، وتتدرّج هذه المراحل من الصفة إلى الحال إلى الملكة، إذ يقول في المقدّمة " لأنّ الفعل يقع أولًا وتعودُ منه للذات صفةٌ، ثمَّ تتكرر فتكون حالًا، ومعنى الحال أنها صفةٌ غير راسخة، ثمَّ يزيدُ التكرار فتكون مَلَكَةً، أي صفةً راسخةً " (ابن خلدون، بلا ت، ٥٦٢) . أيّ أنّ اللغة تكتسب بالتعلم الصحيح، فتصير ملكةً بصورة تلقائية، وربما دون أن نشعر، ويقول في موضع آخر للتوضيح: " ثمّ لا يزالُ سماعُهُم لذلك يتجدد في كل لحظة، ومن كلِّ مُتكلِّم، واستعماله يتكررُ إلى أن يصير ملَكَةً وصفةً راسخةً ويكون – يعني السامع – كأحدِهم" (ابن خلدون، بلا ت، ٥٥٤). ولعل أول شرط لنجاح رسوخ هذه الملكة هو وجود المحيط الملائم للمتعلم، كي يكتسب اللغة بصورتها الصحيحة الفصيحة، لذلك يرى ابن خلدون لمن يروم تحصيل هذه الملكة أن يحفظ كلام القديم العرب الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف والخطب والشعر وفنون المولدين، " ثم يتصرَّف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حَسَبِ عباراتهم وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظه، فتحصل له هذه المَلَكَةُ بهذا الحفظ والاستعمال " (ابن خلدون، بلا ت، ٥٥٩).

ومن خلال آراء ابن خلدون هذه توصل الدكتور نعمة العزاوي إلى العناصر التي تقوم عليها الطريقة التلقائية، وهي:

- أنْ نضع للطالب مُناخاً لغويًا سليمًا يحوطه بأن نسمعه الكلام الفصيح، ونحمله على استعماله في خطابه وحواره داخل الصف.
- أن نكثر من ترويته النصوص البليغة، شعرًا كانت أم نثرًا، وألّا نشفق عليه من كثرة المحفوظ.
- أن نشكل الكتب المدرسية جميعها سواء أكانت كتبَ لغةٍ وأدب، أم كتب علوم. وإذا فعلنا ذلك فإن عين المتعلم لن تقع إلا على كلام مشكول، مما يؤدي إلى طبع لسانه على الفصيح، وتسريب خصائص اللغة وقوالبها وقوانينها إلى ذهنه على نحو عفوي " _(العزاوي،١٩٨٨، ١٦. ١٧)

ويرى الباحثان أنّ من الصعوبة اليوم، أن نجد المُناخ السليم الذي يحوط الطالب، لكي نسمعه الكلام الفصيح؛ فقد رصدت الكثير من الدراسات الخطر الذي يحوط اللغة العربية، نتيجة وسائل الإعلام والفضائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي التي لا يحدها ضابط ما، ولا يمكن السيطرة عليها، لتصحيح أخطائها الكثيرة المتراكمة، كما فعل الدكتور نعمة رحيم العزاوي، نفسه عندما صحح الكثير من الكلمات والتراكيب النحوية واللغوية الخاطئة التي وردت في الصحف والمجلات والوسائل السمعية والمرئية في نهاية تسعينيات القرن الماضي في كتابه (التعبير الصحيح).

وقد عالجت اللسانيات الحديثة مسألة اكتساب اللغات بعدة نظريات، وسيشير الباحثان إلى نظرية اكتساب اللغة كما في النظرية البنائية لجان بياجيه، لعلاقتها بقضية اكتساب اللغة، كما رآها الدكتور نعمة رحيم العزاوي. يرى بياجيه " أنّ اللغة عند الطفل بناء يكتسب ببطء؛ لأنه مرتبط بمراحل النمو الجسماني والذهني، وأنّ تكوين البنيات الإدراكية عند الطفل يكون بمثابة الوظيفة الدلالية المرتبطة بثوابت أخرى (المفاهيم، الصيغ الحركية، الصور) ويمكن تلخيص نظرية بياجيه، بأنّ عملية بناء العلامات اللفظية عادة ما تكون مشروطة بالاندماج الاجتماعي للطفل." (أحرشاو، ١٩٩٣، ٣٤) ويلحظ هنا التقارب الشديد بين رؤية ابن خلدون، والدكتور نعمة رحيم العزاوي، وجان بياجيه، فمما لا شك فيه أنّ الاندماج الاجتماعي للطفل عند بياجيه هو المناخ السليم نفسه عند العزاوي، وهو نفسه حفظ كلام العرب الجاري على أساليبهم عند ابن خلدون، وقد أشارت الكثير من الدراسات التجريبية في طرائق التدريس إلى أهمية الحفظ (القرآن الكريم، نهج البلاغة، ...) في القدرة على التعبير الكتابي أو التحصيل الدراسي أو الإملاء عند الطلبة. (حسين، ٢٠١٢، عدد ٤٨)

المبحث الثاني: قضية النحو الوظيفي، ومشكلة تعليم النحو عند الطلبة.

نشأت نظرية النحو الوظيفي من خلال مجموعة من الباحثين بجامعة امستردام يرأسهم الباحث اللساني سيمون ديك الهولندي، حيث قدّم الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة ١٩٧٨، وأرسى أسس النحو الوظيفي، ولهذه النظرية نماذج كثيرة متعاقبة، وهي نظرية تستجيب لشروط التنظير والنمذجة، وانتقلت هذه النظرية من مسقط رأسها بهولندا إلى أوربا، ودخلت العالم العربي عبر بوابة المملكة المغربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، على يد الباحث أحمد المتوكل، لتنتقل بعدها إلى بقية البلاد العربية كالجزائر وتونس وسوريا، والعراق. (المتوكل، ٢٠٠٦، ٥٩ . ٦٣)

ويقصد بالنحو الوظيفي ما يؤدي إلى صحة العبارة إثناء الكتابة وسلامة النطق أثناء الحديث أو القراءة، ولا يتطلب هذا النحو حفظ الجمل الجاهزة للإعراب وبعض مصطلحاته الغامضة، وبحسب تعريف عبد العليم إبراهيم، فإن النحو الوظيفي هو: " مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة " (إبراهيم، بلا ت، المقدمة) أي أنّ علينا كي نتعلم النحو لغرض أداء الوظيفة اللغوية المتمثلة بالاتصال "عدم الإيغال في دقائق الموضوع والوجوه المتعدِّدة له والشَّواذّ عن القاعدة، وحِفْظ الشَّواهد فيه، واختِلاف الآراء والمذاهب النَّحويَّة، وضرورة البُعد عن الاستِطْراد في الموضوعات النَّحويَّة التي لا تُفيد الطَّالب في مواقع الحياة؛ كدقائق الإعراب وما يتَّصل به من بناء وإعراب تقديري ومحلّي، ويحسن بالمدرِّس العناية ببيان معاني الأدوات اللغويَّة وطريقة استِعْمالها في الكلام، وبيان أثرها الإعرابي دون تفصيل " (الهاشمي، ١٩٨٧، ٢٠٤)

ويتبنى الدكتور العزاويّ نظرية تعليم النحو الوظيفي للغة متابعًا الدكتور داوود عبدُه، في كتابه (نحو تعليم اللغة العربية وظيفيًا) بل هو يتابعه في معظم آرائه وأمثلته في هذا النظرية، وقد كان لتدنّي مستوى الناطقين

بالعربية والكاتبين بها، أثرٌ في تبني هذا الاتجاه الوظيفي. ويرى الدكتور نعمة رحيم العزاويّ أنّ التعليم الوظيفي للغة يركز على أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي (الاتصال) الذي يقضي إتقان أربع مهارات، وربما خمس، وهذه المهارات هي: الاستماع والقراءة والكلام والكتابة، وربما يضاف إليها التفكير الذي يسمى في بعض الأحيان المهارة اللغوية الخامسة. (العزاوي، ١٩٨٨، ٣١)

ويرمي التعليم الوظيفيّ للغة عند الدكتور العزاويّ إلى إبعاد الأنشطة اللغوية التي لا تتعلق بمهارات اللغة الأساسية، أو غايات تعلمها، ويعدّه نشاطًا زائدًا يصرف الطلاب عن اللغة، وقد يدعوهم إلى النفور منها، وعلى المعلم أن يسأل نفسه دائمًا: أيحقق هذا النشاط إحدى الوظائف الأساسية للغة؟ وفي ضوء الإجابة يعدل عن الكثير من التفصيلات التي لا تحقق أيّ هدف. (العزاوي، ١٩٨٨، ٣٣)

ثم قدّم الدكتور العزاويّ مثالاً تطبيقيًا في النحو الوظيفي مستلًا من كتاب الدكتور داود عبده، (عبده، ١٩٧٩، ١١) وهو استعمال أداة النصب (لن) فالمدرس الاعتيادي يدرّس (لن) بوصفها أداة لنصب الفعل المضارع، ويهتم بسماع (كليشيه) إعرابها واعراب الفعل المضارع بعدها فقط، أما مدرس النحو الوظيفي فيركز على وظيفة (لن) في الجملة، فيسأل الطلبة حول جملة المثال (لن يشترك فؤاد في المباراة) هل تتحدث الجملة عن عدم اشتراك فؤاد في المباراة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل؟؟ وما علامة ذلك في الجملة؟؟ وكيف ستكون الجملة لو كانت تتحدث عن عدم اشتراكه في المباراة في الماضي؟ أو عدم اشتراكه في الحاضر؟؟ ثم يخلص الدكتور العزاويّ قائلًا " لقد آن الأوان لأن نُعيد النظر في مناهج تعليم اللغة العربية على هذا الأساس، أعني الأساس الوظيفيّ للغة، وسنجد عند ذلك أنَّ الكتب المدرسية متخمةٌ بتفصيلاتٍ ونشاطاتٍ لا يجني الطالب منها غيرَ الكدح والعناء ... وتهمل لسانه، فلا تشحذُهُ، ولا تجريه بالاستعمال اللغويّ الصحيح الذي يحتاج إليه الفرد في نشاطه الفكريّ أو الحياتيّ " (العزاوي، ١٩٨٨، ٣٦)

ثم يعود الدكتور نعمة العزاويّ ليدرس النحو الوظيفي في موضع آخر من كتابه، عندما يدرس قضية النحو وتدريسه، فينقل لنا أولاً شكوى بعض المربين من النحو المدرسي، ودعوتهم إلى إعادة النظر فيه، بعد أن لاحظوا برم الناشئة منه، فينقل لنا دعوة علي جواد الطاهر لنبذ التطويل في الدرس النحويّ، وينقل لنا رؤية عباس حسن حول التعويق والمشقة والتخليط في الدرس النحويّ، وينقل لنا آراء أخرى لغيرهم، فقد نادى بعضهم بمفهوم (النحو الوظيفيّ) أو (النحو التطبيقيّ) أو (النحو العمليّ) ويقرر الدكتور العزاويّ أنّ هذا المفهوم الذي يدعون إليه غير واضح في أذهانهم، فيرى بعضهم أنه النحو المهذب المصفى، أو النحو المختصر، وجاءت دعوتهم هذه نتيجة إحساسهم بازدحام منهج النحو المدرسيّ بمباحث لا ضرورة لها، ولكنهم لم يضعوا الأسس التي يجب أن ينهض عليها هذا النحو، لذلك يقول الدكتور نعمة رحيم العزاويّ: "وهذا ما سأحاوله في هذا المقام" (العزاوي، ١٩٨٨، ١١٥.١١٧)؛ فيطلق الدكتور العزاويّ على النحو المدرسيّ الملائم للتدريس مصطلح (النحو الوظيفيّ) ويحدد العزاويّ هذا المصطلح من خلال مجموعة من الأسئلة، هي : . ما مفهوم النحو؟ وقد عرَّفه بقوله: "إنَّ النحوَ يعني القواعد المتعلقة بأصوات اللغة، وبصياغة مفرداتها، وبطريقة نظم الكلام وتأليفه، وبدلالات المفردات والتراكيب.

ما الأهداف التي نتوخاها من تعليم النحو؟ وقد حددها بثلاثة أهداف هي:

- ـ سلامة النطق، وصحة ضبط الكلمة مفردةً ومركبةً.
- ـ معرفة منهج العربية في تأليف الجمل، وصوغ العبارات.
- ـ فهم وظيفة الكلمة في الجملة، ومعرفة الفروق بين التراكيب.
- ـ ما القواعدُ الوظيفية؟ وما القواعد غير الوظيفيّة؟

ومن الواضح أنّ القواعد الوظيفية عند العزاويّ هي التي تحقيق الأهداف الثلاثة المذكورة، وأيّة قاعدة، غيرها هي قاعدة زائدة. ثم عرض الدكتور العزاويّ مجموعة من الأمثلة التي تحقق هذه الأهداف، (العزاوي،١٩٨٨، ١١٨ـ ١٢٤) وجميع هذه الأمثلة مستلة من كتاب (نحو تعليم اللغة العربية وظيفيًا) لداود عبده، كما ثبت في الهوامش.

ويرى الباحثان أنّ الأهداف التي جاء بها الدكتور العزاويّ، موجودة ضمن أهداف تدريس النحو بشكل عام، وليست مقتصرة على النحو الوظيفيّ، فالهدف الأول يقابله هذا الهدف مثلاً " إقدار التلاميذ على سلامة العبارة، وصحة الأداء، وتقويم اللسان، ..." والهدف الثاني يقابله " تنمية القدرة على دقة الملاحظة، والربط، وفهم العلاقات المختلفة بين التراكيب المتشابهة، ..." والهدف الثالث يقابله " وقوف التلاميذ على أوضاع اللغة وصيغها ..." (عطا، ٢٠٠٦، ٢٧٣) ويرى الباحثان أيضًا أنّ الدكتور نعمة رحيم العزاويّ، قد ترك هدفًا مهمًا من أهداف تدريس النحو العربي، وهو " إقدار التلاميذ على محاكاة الأساليب الصحيحة، وجعل هذه المحاكاة مبنية على أساس مفهوم بدلاً من أن تكون آلية محضة." (عطا،٢٧٤،٢٠٠٦) ومن الواضح أنّ هذا الهدف يحقق مهارتي الحديث والكتابة عند الطالب. ويود الباحثان أن يشيرا إلى أنّ مفهوم النحو الوظيفي الذي دعا إليه الدكتور نعمة رحيم العزاويّ، استنادًا إلى آراء داود عبده يختلف عن النحو الوظيفي الي درسه الدكتور تمام حسان في مصر، أو أحمد المتوكل في المغرب، كما يشير الباحثان إلى أنّ الأستاذ عبد العليم إبراهيم قد سبق الأستاذ داود عبده، والدكتور نعمة رحيم العزاويّ في إشارته إلى أهمية النحو الوظيفي، من خلال كتابه (الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية) الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦١، إذا قال موضحًا مفهوم القواعد: " القواعد وسيلة لضبط الكلام، وصحة النطق، وليست غاية مقصودة لذاتها " (إبراهيم، بلا، ٢٠٣)

وقال في موضع آخر " أن نختار من القواعد ما له أهمية وظيفية، وفائدة في الكلام، ولا داعي إلى كثرة التفصيلات ..." (إبراهيم، بلا ت، ٢٠٧) ومن الواضح أنّ هذه الآراء هي من صميم النحو الوظيفيّ. ومن ثم عاد لدراسته دراسة مفصلة في كتابه (النحو الوظيفيّ) (إبراهيم١٩٦٩، ١٦٥).

المبحث الثالث: قضية التعبير، وطرائق تعليمه.

للتعبير أهمية بالغة في درس اللغة العربية؛ لأنه غاية في حد ذاته، والدروس الأخرى مثل، القواعد والبلاغة والقراءة والأملاء مساعدة له. والغرض من التعبير أن نمكن الطلبة من التعبير عما في نفوسهم أو مشاهداتهم، بعبارة سليمة، وأن نوسع دائرة أفكارهم، من خلال الموازنات، أو عرض الأسباب لظاهرة ما مثلًا. أي هو وسيلة اتصال بين الطالب والبيئة المحيطة به، وللتعبير أسس نفسية وتربوية ولغوية. والتعبير من حيث طريقة الأداء، نوعان: التعبير الشفويّ، والتعبير الكتابيّ، أما من حيث الغرض فنوعان أيضًا: الأول هو، التعبير الوظيفيّ، الذي يعنى بالمحادثة والمناقشة ونقل الأخبار، والإرشادات، وكتابة الرسائل والتقارير ... أما النوع الثاني فهو، التعبير الابداعيّ، الذي يعنى بالتعبير عن الأفكار والخواطر والمشاهدات، بطريقة مشوقة مثيرة هي الأداء الأدبي. (إبراهيم، بلا، ١٤٥ـ١٥٢)

وعندما درس الدكتور نعمة رحيم العزاويّ موضوع التعبير (الكلام والكتابة) فرق أولًا بين مصطلحي (الإنشاء) و(التعبير) فهو يرى أنّ مصطلح التعبير هو المصطلح الأكثر ملاءمة لهذا الموضوع؛ لأنّ " كلمة (الإنشاء) تعني (الخلق) أو (الإبداع)، أدركنا أنّ في إيثارها على (التعبير) خروجًا عن الهدف من الدرس وتجاهلًا لحقيقة مهمة هي أنّ (الخلق) أو (الإبداع) ليس مما يواتي كلَّ فردٍ، أو يتهيّأ لأي إنسان، وإنما هو أمر وراء التعلم، لحاجته إلى ما يسمى بـ (الموهبة) أو (الاستعداد). " (العزاوي، ١٩٨٨، ٦٤) وهو يرى أنّ الغرض من درس التعبير " أن نعدّ إنسانًا قادرًا على أن يعبر عما يواجهه من مواقف الحياة، تعبيرًا واضح الفكرة، صافي اللغة، سليم الأداء، يتلقاه عنه السامع أو القارئ فيفهمه ويتبين مقاصده " (العزاوي، ١٩٨٨، ٦٤).

ومن الواضح هنا أنّ الدكتور العزاويّ، يرى أنّ التعبير الوظيفي هو المناسب للتعليم، لذلك يعود ليدافع عن رأيه هذا في تفصيل أكثر، فيقول إنّ التعبير اللغوي يأتي في درجات، هي (اللغة المفهمة) وهي اللغة التي نفهم منها، ولا تلتزم بقواعد اللغة، ثم (اللغة الصحيحة) وهي التي تحقق الافهام وتلتزم بقوانين اللغة وقواعدها، ثم (اللغة البليغة) وهو نمط من التعبير لا يتأتى إلا للأدباء الموهوبين. ويرى أنّ اللغة الصحيحة هي التي نطلبها لتناسب (التعبير الوظيفي) (العزاوي، ١٩٨٨، ٧٣). وهو التعبير الذي تقتضيه ضروريات الحياة، والتعامل مع الناس ولا تستخدم فيه اللغة الفنية أو الخيال، إنما يراد للغته أن تكون واضحة سليمة من الناحيتين اللغوية والنحوية، وأن تكون جملها مترابطة ومرتبة ترتيبًا منطقيًا دقيقًا. ويخلص الدكتور العزاويّ إلى " أنّ على معلمي التعبير أن يفرقوا بين ضربين من التعبير، ... ، وأن يدربوا تلاميذهم على التعبير غير الفني لشدة حاجتهم إليه في حياتهم العامة، وعليهم أن يدركوا أنّ التعبير الإبداعي لا يتاح إلا لقلة من تلاميذهم، فإذا اكتشفوا هذه القلة، كان عليهم أن يرعوها، ويصقلوا مواهبها. " (العزاوي، ١٩٨٨، ٧٥ ـ٧٦)

ويرى الباحثان أنّ دعوة الدكتور العزاوي إلى تعليم التعبير الوظيفي فقط، تحتاج إلى مراجعة النظر فيها، فلقد جاءت الكثير من كتب تعليم اللغة العربية وأدبياتها، وفيها نوع من الموازنة بين التعبير الإبداعي والتعبير الوظيفي، ولم يدعوا إلى تعليم التعبير الوظيفي فقط.

فهذا عبد العليم إبراهيم يقول " وهذان النوعان ضروريان لكل إنسان في المجتمع الحديث، فالأول يحقق له حاجاته من المطالب المادية والاجتماعية، والثاني يمكنه من أن يؤثر في الحياة العامة بأفكاره وشخصيته. " (إبراهيم، بلا ت، ١٥٢)

ونحن نتفق مع الدكتور نعمة العزاويّ في أنّ التعبير الإبداعي لا يتاح إلا لقلة من التلاميذ، ولكن، " ليس من الضروري أن ينتج التلاميذ أدبًا ممتازًا، وإنما يكفي أن يعبروا عما في نفوسهم في مجالات الألوان الأدبية التي يميلون إليها بقدر طاقتهم الفنية، وليس على المدرس إلا أن يهيئ لهم الفرصة للكتابة ... ولكي يستطيع المدرس إتاحة هذه الفرص لهم ـ لابد أن يكون على درجة من الالمام الجيد بألوان الكتابة الإبداعية، والقدرة على التمييز بين الغث والثمين، والمعرفة بمعايير النقد الأدبي، وأن يكون حسن التذوق قادراً على خلق الشعور بتأثير الأدب الصافي الخلاق في النفوس." (العزاوي، ١٩٨٨، ٢٣٤). وفضلا عن ذلك فإنّ المدرس لا يستطيع اكتشاف المواهب وصقلها إلا إذا كلف الطلبة بكتابة التعبير الإبداعي.

أما الدكتور علي جواد الطاهر، فيقف موقفا مناسبًا، فيسمي التعبير الإبداعي بالإنشاء، ويقول، " أمّا الانشاء فهو أن يبدع الطالب صفحات فيها خيال وصور وعواطف وأفكار، كما يفعل الشعراء أو الكتاب، وليس في مقدور الطلبة كلهم ذلك، لأنه يقتضي موهبة خاصة. وعلى المعلم أن يشجع الطلبة على الابتكار لكي تكون في التعبير بعض مدلولات الانشاء." (الطاهر، ١٩٨٤، ٤١)

أما في مجال تعليم التعبير، فقد أشار الدكتور العزاويّ إلى أهمية (مقتضى الحال) وهو ظروف القول ومناسبته، فقال " فإذا اقتصرنا في تعليم التعبير على الاهتمام بجانب السلامة اللغوية ... دون مراعاة ما تستدعيه حال الحديث كان تعليمنا ناقصًا ... أي على الطالب أن يكتسب مهارة التصرف بالبنى اللغوية على وفق ما تقتضيه حال الحديث. " (العزاوي، ١٩٨٨، ٦٦ـ٦٧)

وأشار أيضًا إلى أهمية (الرصيد اللغوي) في تعليم التعبير، وهو مشروع تبنته المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، وعممته على جميع الدول العربية. وقد حددته بما يأتي " يهدف هذا المشروع إلى ضبط مجموعة من المفردات والتراكيب العربية الفصيحة والجارية على قياس كلام العرب التي يحتاج إليها التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني التي تجري في التخاطب اليومي من ناحية ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة من التعليم. " (العزاوي، ١٩٨٨، ٦٩)

ومن الواضح أنّ الغرض من هذا المشروع هو ضبط الرصيد اللغوي من الكلمات في كل مرحلة من مراحل التلميذ، للإفادة منها في التعبير وفي التواصل مع المجتمع، بحيث لا تزيد ولا تنقص في الوقت نفسه، ويرى الدكتور العزاويّ أنّ كتب المرحلة الابتدائية أو الثانوية قد اشتملت على مفردات سيقت من غير نظر إلى ما يحتاج إيه التلميذ. (العزاوي، ١٩٨٨، ٧٠)

وأشار الدكتور العزاوي إلى جانب مهم في التعبير، وهو الجانب الصوتي في التعبير الشفهي، لم يلتفت له الباحثون الآخرون، ويرى أنّ تنمية هذا الجانب يستعي الاهتمام بما يأتي:

- " أن نعلم التلميذ التحكم في جلسته ووقفته وتنفسه، فالوقوف أو الجلوس مع رفع الرأس والأكتاف والتنفس العميق يساعد على وضوح الصوت، واكسابه الجهارة.
- أن نوجه التلميذ إلى تجنب الخيشومية والصوت العالي الحاد.
- أن نعلمه لاسترخاء وعدم التوتر.
- أن نعلمه الاستفادة من قدرات غيره في الجانب الصوتي، والمعلم خير قدوة في هذا الشأن. " (العزاوي، ١٩٨٨، ٧١)

أما من حيث موضوعات التعبير، فيفرق الدكتور العزاويّ بين موضوعات التعبير الوظيفي والتعبير الإبداعي، وهو يفضل التعبير الوظيفي كما رأينا مسبقًا، لذلك هو مع الموضوع الذي له موقف حياتي، يتكرر في حياة الناس، بحيث يعبروا عنه تعبيرًا لا تشترط به الإثارة، ولا يراد للغته تتسم بالأناقة والتجويد، وهو يرى أنّ " إهمال موضوعات التعبير الوظيفي، هو الخطأ الذي يسود تعليم التعبير في مدارسنا، والذي نجم عنه أنّ الطلاب يتخرجون في الكليات، وهم غير قادرين على التعبير عن شؤون حياتهم ..." (العزاوي، ١٩٨٨، ٧٧) ومن المؤسف أنّ الدكتور نعمة العزاوي لم يشر إلى تجارب عربية مهمة في موضوعات التعبير الحر للطلبة توصلت إلى أنّ التعبير الحر ينتج عنه الانطلاق وحب الكتابة والاجادة فيها. (أحمد، ١٩٨٥، ٥٣)

أما مهارات التعبير، فقد توصل الدكتور نعمة رحيم العزاويّ إلى مجموعة من مهارات التعبير الشفهي (الكلام أو الحديث) ومجموعة من مهارات التعبير التحريري (الكتابة) فمن مهارات التعبير الشفهي: " ترتيب الأفكار وتواصلها في الحديث، المهارة في حسن صوغ البدء وحسن صوغ الختام، صياغة العبارة وعرض الفكرة في ضوء مستوى السامعين، القدرة على المشاركة في حوار حول موضوع يهم المتعلم أو يهم مجتمعه، القدرة على الاستجابة لمشاعر السامعين، ..."

أما مهارات التعبير التحريري، فمنها " قدرة المتعلم على وضع خطة لما يكتب، موضحًا هدفه، وأسلوب تحقيقه، وقدرة المتعلم على تحديد أفكاره واستقصاء جوانبها ومراعاة ترتيبها وتكاملها، تمكن المتعلم من وصف ظاهرة أو حادثة أو مشهد وصفًا شاملًا. " (العزاوي، ١٩٨٨، ٨١ ـ٨٣)

ولكن يلحظ أنّ الدكتور نعمة رحيم العزاويّ قد غفل عن معايير تصحيح التعبير، كما هو في الكتب التي تناولت موضوعات تعليم اللغة العربية، وكان يفترض أن يشير إلى هذه المعايير، لأنّ كتابه يعد رؤية جديدة في تعليم اللغة العربية، وأنه دعا إلى تعليم التعبير الوظيفي، وهو ما يستحق منه وضع معايير لتصحيحه.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

الدكتور نعمة رحيم العزاويّ، واحد من علماء اللغة العربية المعاصرين، وقد أثرى المكتبة اللغوية العربية بعشرات الكتب والبحوث والمقالات، في اللغة والتصحيح والتيسير، والأدب وما يتصل به من شؤون اللغة، فضلًا عن مجموعة من الكتب والمقالات في تعليم اللغة العربية وما يتصل به من موضوعات، وقد تناول في كتابه (من قضايا تعليم اللغة العربية ـ رؤية جديدة) عدة موضوعات، اختار الباحثان منها ثلاثة موضوعات لدراستها في هذا البحث. وتوصلا إلى أنّ الدكتور العزاوي تبنى وجهة نظر ابن خلدون في تناوله لموضع اكتساب اللغة، وفي ضوء هذه الرؤية تبنى الطريقة التلقائية في تعليم اللغة، وليس الطريقة لقاصدة، أما في موضوع تدريس القواعد، فقد تبنى طريقة أو أسلوب النحو الوظيفي للتخلص من المشكلات التي تواجه المتعلمين، ويرمي التعليم الوظيفيّ للغة عند الدكتور العزاويّ إلى إبعاد الأنشطة اللغوية التي لا تتعلق بمهارات اللغة الأساسية، أو غايات تعلمها، ويعدّه نشاطًا زائدًا يصرف الطلاب عن اللغة، وقد يدعوهم إلى النفور منها. أما في موضوع التعبير، فقد تبنى الدكتور العزاويّ موضوع التعبير الوظيفي ورأى أنه التعبير المناسب للطلبة للتواصل مع المحيط من خلال موضوعات ذات مواقف حياتية. ويستطيع الباحثان أن يقولا بثقة إنّ الدكتور العزاويّ قد تناول هذه الموضوعات بعلمية، واقد استند في الكثير من آرائه إلى خبرته الطويلة في التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، فضلًا عن عمله لسنوات طويلة في مجال تأليف الكتب المنهجية لدروس اللغة العربية، في وزارة التربية في العراق.

المصادر

١. إبراهيم، عبد العليم (١٩٦٩) النحو الوظيفيّ، دار المعارف، القاهرة.
٢. ابراهيم، عبد العليم (بلا ت) الموجه الفني لمدرسي اللغة لعربية، ط٧ ، دار المعارف، القاهرة.
٣. ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ (بلا ت) المقدمة، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤. أحرشاو، الغالي (١٩٩٣) الطفل واللغة الكتاب الأول (تأطير نظري ومنهجي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
٥. أحمد، محمد عبد القادر (١٩٨٥) طرق تعليم التعبير، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٦. آل صوينت، د. مؤيد، و د. خالد خليل هويدي إعداد (٢٠١٣) انتظام المعرفة اللغوية، مكتبة عدنان، بغداد.
٧. الحداد، سعد، (٢٠٠١) موسوعة أعلام الحلة ج١، مكتب الغسق للطباعة، بابل.
٨. الطاهر، الدكتور علي جواد (١٩٨٤) أصول تدريس اللغة العربية، ط٤ دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.
٩. عبده، داود (١٩٧٩) نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً، مؤسسة الرسالة، الكويت.
١٠. العبيدي، الدكتور رشيد عبد الرحمن (١٩٨٨) أبحاث في فقه اللغة العرية، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨.
١١. العزاوي، الدكتور نعمة رحيم (١٩٨٨) من قضايا تعليم اللغة العربية ـ رؤية جديدة، ، مطبعة وزارة التربية، بغداد.
١٢. عطا، إبراهيم محمد عطا (٢٠٠٦) المرجع في تدريس اللغة العربية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
١٣. الهاشمي، عابد توفيق (١٩٨٧) الموجّه العملي لتدريس اللغة العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الرسائل

١. حسين أ.م د. رياض، و م. مؤيد سعيد، (٢٠١٢) أثر تضمين نصوص من نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام في تحصيل طلبة المرحلة الثانية في قسم اللغة العربية بكلية التربية الأساسية في مادة البلاغة العربية، مجلة الفتح، العدد ٤٨.